مدرسة الألسن في مصر ١٨٣٥
دراسة تاريخية

م. وفاء خالد خلف
الجامعة المستنصرية
كلية التربية/قسم التاريخ

المقدمة

تعد مدرسة الألسن واحدة من أبرز الظواهر الثقافية التي بنى أساسها محمد علي باشا في مصر ، والذي قام باصلاحات شتى منها الثقافية والتي كانت من نتائجها هذه المدرسة .

وكانت اصلاحات محمد علي باشا تحمل طابعاً تقدمياً إذ بالرغم من عبئها على الشعب الا انها ساهمت مساهمة فعالة في تطور مصر وجعلها في مصاف الدول المتقدمة. وان التركة التي خلفها محمد علي باشا من بعده لخلفائه لم تكن بالمستوى المطلوب ولم يصونوها، فاختلف الحكام بين ضعيف ومتمرد على الاصلاحات، فضاعت الجهود التي بذلها محمد علي باشا من اجل انشاء هذه المدرسة سدى، لكن هذا الحال لم يدم طويلاً فبفضل جهود رفاعة رافع الطهطاوي وهو من المنتفعين من هذه الاصلاحات وظهور خديوي قوي يقدر عاقبة الأمور وهو اسماعيل باشا استطاعت هذه المدرسة ان تنهض من جديد وتواصل عطائها في خدمة العلم والتعلم.

مدرسة الألسن (مدرسة الترجمة) ١٨٣٥:

اهتم محمد علي باشا[١] بالتعليم واولاه أهمية خاصة، لما لهُ من تأثير على جيشهِ وتطوره ودعم جهاز دولته ادارياً وفنياً[٢]. وقد اتخذت الحكومة عدة اجراءات من اجل القيام بهذا الأمر منها بعثتها سنة ١٨٢٦ الى فرنسا، وكان من بين افرادها رفاعة رافع الطهطاوي[٣] والذي يعد أحد أئمة النهضة الأدبية في مصر في القرن التاسع عشر[٤].

وقد عرف عن رفاعة رافع الطهطاوي الجد والمثابرة واهتمامهِ بالعلوم المختلفة، ومن أهم العلوم التي سعى للاهتمام بها هي الترجمة، إذ شغل نفسه بترجمة العديد من المؤلفات الأجنبية والتي انتفع بها طلاب المدارس كثيراً[٥]. وقد انشئت مدرسة الألسن بناء على اقتراح من رفاعة الطهطاوي والذي قدمهُ للوالي في نهاية عام ١٨٣٤ بانشاء هذه المدرسة[٦].

إذ استغل رفاعة الطهطاوي فكرة ان عصر محمد علي هو عصر ترجمة أكثر منهُ عصر تأليف فكان كل همه تعريب الكتب الأجنبية وذلك للوقوف على علوم الغرب وآدابه ونظمه وطرقه في معالجة شؤون الحرب والزراعة والصناعة ووسائل العمران. ولم يوجد في هذا الوقت افراد من ذوي الكفاءة العالية في الترجمة والقدرة على التحرير والكتابة. وازاء هذا كان لابد من ايجاد وسيلة تحقق وجود حلقة من العلماء ليضطلعوا بمهمة تعريب الكتب الأجنبية حتى يكونوا على صلة بالثقافة العربية والغربية لهذا عرض رفاعة الطهطاوي هذه الفكرة على محمد علي والذي وافق على الموضوع ورحب بالفكرة(٧).

مقر المدرسة وتلاميذها:

سعى رفاعة الطهطاوي الى تكثيف جهوده في هذا المجال فقام بافتتاح المدرسة الجديدة لتعليم اللغات الاجنبية في سنة ١٢٥١هـ ١٨٣٤م، وهو الذي تسلم ادارتها واعتمد نجاحها بالدرجة الأولى عليه(٨)، وقد عُرفت هذه المدرسة عند فتحها بمدرسة الترجمة ثم فيما بعد بمدرسة الألسن(٩).

كان لابد من اختيار مكان ملائم للمدرسة التي سعى رفاعة الطهطاوي لانشائها، وقد وقع الاختيار في دار الألفي بالأزبكية ، وهي بجوار سراي كريمة ذات العصمة زينب خانم والتي كانت مقيمة بالاستانه العليا مع زوجها الوزير يوسف باشا كامل(١٠).

ومن الجدير بالذكر انه قد تم انتخاب تلاميذ المدرسة من مكاتب الأقاليم المعروفة بمكاتب الأرياف الأميرية تحت معرفته، والتي كانت منتشرة في تلك الفترة في جميع الديار المصرية وكانت هذه المكاتب والتي شاع ذكرها بين الدول مشتملة على خمسة عشر الف تلميذاً لا أقل، وكان رفاعة الطهطاوي قد قصر عدد تلامذة مدرسة الألسن في بداية الأمر على خمسين، أغلبهم من اقليم الصعيد، ثم بلغ هذا العدد فيما بعد مئة وخمسين يشتملون جميع اقليم مصر، ومن مدنها المشهورة وبنادرها المعمورة، بالاضافة الى اختيار تلامذة من طلاب الأزهر وقرى الصعيد(١١).

ولقد اشترط محمد علي باشا على رفاعة الطهطاوي عند اختيار طلابها ان يكونوا أقوياء البنية وان يتراوح سنهم فيما بين ١٤، ١٨ عاماً[١٢].

ولم يكن رفاعة رافع الطهطاوي مسؤولاً عن هذه المدرسة فقط بل انه في سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٣٥م اسندت اليه نظارة مدرسة التجهيزية التي كانت (بأبي زعبل) بعد نقل تلامذتها الى الأزبكية، وفي هذا العهد تجددت تحت ادارتهِ بالقصر المشتمل على هاتين المدرستين مدرسة فقه وشريعة اسلامية، ومدرسة محاسبة، ومدرسة ادارة افرنجية، وكان يدير هذه المدرسة بغاية الدقة[١٣]. مما يدل على يتمتع به من خبرة ودراية في امور العلم والتعلم.

ويبدو ان افتتاح مدرسة الألسن كان فاتحة خير على رفاعة الذي حصل على رتبة البكباشي في اول افتتاح لهذه المدرسة. وظلت هذه المدرسة تواصل نشاطها، وقد اثمرت عنها تشكيل ما يعرف بقلم الترجمة بعد انشائها سنة ١٨٤١[١٤] من تلامذة الطبقة الاولى والثانية[١٥]،

كان قلم الترجمة الملحق بمدرسة الألسن وادارة رفاعة الطهطاوي يتكون من اربعة أقلام: القلم الأول قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم الرياضية، وكان يرأسه "البكباشي" محمد بيومي أفندي، والقلم الثاني قلم ترجمة العلوم الطبية والطبيعية، وكان يرأسه "اليوزباشي" مصطفى واطى افندي، وهو من مدرسي مدرسة الطب الشرعي، والقلم الثالث قلم ترجمة كتب الأدبيات، كالتاريخ والقصص والقوانين والجغرافيا، وكان يرأسه الملازم أول خليفة محمود أفندي، وهو من مدرسي مدرسة الألسن. والقلم الرابع قلم الترجمة التركية، وكان يرأسه ميناس أفندي المترجم بديوان المدارس[١٦]. وقد تم توزيع جملة منهم على المدارس المصرية والمصالح الميرية[١٧].

وقد قام قلم الترجمة بدور كبير في نقل الكتب الغربية الى اللغة العربية، مما كان له أبعد الأثر في النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر. وبعد سنة من تأليف هذا القلم نال رفاعة الطهطاوي رتبة "قائمقام" وكان قد نال ما يتقدمها من الرتب تدريجياً في أوقات متتابعة، فيما ترقى عدة من رجاله الى رتبة الملازم الأول واليوزباشي[١٨].

ومما هو جديرٌ بالذكر انه قد بلغ عدد الكتب التي ترجمها خريجو المدرسة – كما قدره أحدهم وهو محمد قدري باشا– الفي كتاب[١٩].

استمرت مدرسة الالسن تواصل عطائها وانجازاتها، واستمرت عطاءات محمد علي باشا ورفاعة الطهطاوي وعملوا على توسيع مدرسة الألسن اذ أدمجت في مدرسة الألسن (مدرسة التاريخ والجغرافية) التي كان محمد علي قد أنشأها عام ١٨٣٥ ملحقة بمدرسة المدفعية وجعل رفاعة الطهطاوي مديراً لها والاستاذ الوحيد بها، وكان الغرض من انشاء (مدرسة التاريخ والجغرافية) هذه إمداد المدارس العسكرية العديدة التي انشأها محمد علي بمدرسين للتاريخ والجغرافية[٢٠].

لقد تم تعيين الفوج الأول من خريجي هذه المدرسة في مختلف الوظائف بدواوين الحكومة، كما توافد الكثيرون من خريجيها على ترجمة روائع الأدب الفرنسي[٢١].

هذا وقد تخرجت منها أول دفعة عام ١٨٣٩ وبلغ عدد افراد هذه الدفعة عشرين طالباً وألقى الطهطاوي خطاباً بهذه المناسبة، وقد ساهمت هذه المدرسة في خدمة البلد وتحقيق تقدمه الذي كان محور أفكار رفاعة وعنايته التي هي حُب ايصال النفع الى الوطن الذي حُبه من الإيمان وتقليل التغريب في بلاد أوربا حيث لا يتيسر لكل انسان[٢٢].

المواد الدراسية للمدرسة:

كما ذكرنا كان نشوء مدرسة الألسن بناء على اقتراح من رفاعة الطهطاوي، وقد شابهت هذه المدرسة عند انشائها خليطاً من كلية الآداب وكلية الحقوق في آن واحد، فكانت اللغات التي تدرس فيها الى جانب العربية هي الفرنسية والتركية والفارسية والايطالية والأنجليزية، اما بقية مواد الدراسة فكانت التاريخ والجغرافية والأدب والشريعة الاسلامية والقانون والجبر والحساب[٢٣]، وكان رفاعة الطهطاوي نفسه يقوم بتدريس اللغات والادارة والشريعة والقانون الفرنسي[٢٤]، وقد لقيت اللغة الفرنسية كل عناية عن سواها بين باقي اللغات الأخرى[٢٥].

وذلك لتأثر محمد علي باشا بفرنسا ، لاسيما وأن العلاقات السياسية والاقتصادية بين فرنسا عدوت بريطانيا ومصر كانت على أوجها في تلك المرحلة ، لذا كانت أغلب البعثات المصرية الى فرنسا ،كما كان أغلب الأساتذة الغربيين يأتون من فرنسا .

وجاء في الخطط الجديدة لعلي مبارك وصف للنهضة الثقافية التي انتعتش في هذه المدرسة، ووصف للجهود الجبارة التي بذلها رفاعة الطهطاوي في هذه المدرسة، نقتطف منه هذه الفقرة "وكان دأبه في مدرسة الألسن، وفيما اختاره للتلامذة من الكتب التي اراد ترجمتها معهم، وفي تأليفاتهِ وتراجمه خصوصاً، التي لا يقف في ذلك في اليوم والليلة على وقت محدود. فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء، او عند ثلث الليل الأخير، ومكث نحو ثلاث أو اربع ساعات على قدميه في درس اللغة او فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الأجنبية وله في الأول مجاميع لم تطبع. وكذلك كان دأبه معهم في تدريس كتب الادب العالمية، بحيث امسى جميعهم، في الانشاءات نظماً ونثراً، اطروفه مصرهم وتحفة عصرهم، ومع ذلك كان هو بشخصية لا يفتر عن الاشتغال بالترجمة او التأليف"(٢٦).

ومما يستحق الذكر كان طلاب المدرسة يُعلمون الترجمة بطريقة عملية، فكانوا يشتركون في ترجمة المقررة بمساعدة الأستاذة، ثم تعرض ترجماتهم على استاذ العربية لتنقيحها وتحسين صياغتها. ولذا فقد كانت هذه المدرسة في اول عهد تسمى بمدرسة الترجمة ثم سميت بعد ذلك بمدرسة الألسن(٢٧).

والجدير بالذكر ان الكتب الأولى التي قام طلاب مدرسة الألسن وخريجوها بترجمتها لم تكن كتب الأدب، بل كتب العلوم والفنون والصناعات واخصها كتب العلوم العسكرية ثم كتب الطب والرياضة والهندسة(٢٨).

من الطبيعي جداً ان يبرز هؤلاء الطلبة ولديهم هذه الرغبة والحماس الشديد للترجمة وبما انه الشيء المهم هو الأساس وان اساس هذا الشيء هو رفاعة الطهطاوي وهو معلمهم، إذ عرف عنه عدم تقلده المناصب الوظيفية لأن غايته الرئيسية تكمن في

نقل العلوم الأوربية الى مصر لكي تساهم في نهضتها وتقدمها. لذا فمن الطبيعي ان يظهر تأثر تلاميذ مدرسة الألسن لأستاذهم، الذي كان عمله فيها كعمل اصحاب الرسالات، لا عمل الموظفين التقليديين، وقد تجلى ذلك من خلال اهتمامهم بترجمة العلوم الإنسانية، التي اعطاهم استاذهم اهتماماً كبيراً في الألسن[٢٩].

مدرسة الألسن (١٨٤٩- ١٨٥٤)

انقضى عصر محمد علي، عصر الفتوحات العظيمة، وجاء بعدهُ ابراهيم باشا[٣٠]، والذي لم يدم طويلاً في الحكم بسبب مرضه إذ توفي عام ١٨٤٨، وبعد عدة شهور تولى عباس حلمي الأول بن أحمد طوسون بن محمد علي الحكم[٣١]، وصدر فرمان بولايتهِ في ١٨٤٨/١٢/٩.

لابد من ذكره انه قد اختلف حكم عباس الأول جذرياً عن أسلافه، إذ انه اضاع الجهود التي بذلها اجداده في مجالات مختلفة لاسيما التعليم، فاغلق المدارس، وكان يقول بأن الشعب الجاهل أسهل قيادة من الشعب المتعلم، وكان يضيق بالعلوم والفنون والآداب جميعاً، بل وبكل بارقة من نور يمكن ان تشع في العقول او تضيء القلوب[٣٢].

ألغى أغلب المدارس وحصر الأمر اخيراً في مدرسة واحدة لها ناظراً واحداً وتجمع هذه المدارس[٣٣]، وبلغت نفقات التعليم في آخر سنة من حكمه (٥٠٠٠) خمسة آلاف جنيهاً، بعد ان كانت في آخر عهد محمد علي (٨٨٠٠٠) جنيهاً تقريباً[٣٤].

ان هذا الوضع اثر على طبيعة عمل ووظيفة رفاعة الطهطاوي والذي ظل ناظراً لمدرسة الألسن لمدة ١٥ سنة، حتى أمر عباس الأول باغلاقها، لكن ذلك لم يتم مرة واحدة بل عدة مراحل، الاولى بدأ بتشتيت اساتذتها الذين خدموا فيها وكان في مقدمتهم رفاعة الطهطاوي المدرس والمدير[٣٥]، ثم أمر بنقل المدرسة الى مدرسة المبتديات بالناصرية في اكتوبر ١٨٤٩ وكانت هذه المدرسة صغيرة البناء لم تتسع لمكتبة مدرسة الألسن ولا لمتحفها، فنقلت المكتبة والمتحف الى مدرسة المهندسخانه ببولاق، وكان

سبب النقل هو احتياج صاحبة العصمة خالته لقصرها في الأزبكية[٣٦]. وتم الغائها جملة في محرم ١٢٦٦ هـ/ نوفمبر ١٨٤٩م[٣٧].

وقبل أن ينصرم العام نقل رفاعة الطهطاوي منفياً الى السودان وعين ناظراً على مدرسة ابتدائية في الخرطوم ونُفي معه زميله وصديقه محمد بيومي استاذ الرياضة الذي لم يحتمل الصدمة فمات في السودان، واستبد الحزن برفاعة الطهطاوي في منفاه، ولكن هذا لم يشغله عن عمله، فترجم مؤلفات، وانصرف لتنشئة شباب السودان الذين كانوا مقبلين على العلم والتعلم[٣٨]. لأن الخديوي عباس الأول أمرهُ بانشاء مدرسة بالخرطوم[٣٩]. وعدت أول مدرسة أنشأها الخديوي هناك[٤٠]. هذا وقد حزن رفاعة كثيراً اثناء تواجده بالسودان وكان يُكابد آلام الفراق والحنين الى بلده[٤١] وكان ينشد بلسان الحال هذين البيتين:

يرومون لي غير المكان الذي خُلقت ... وبعض منكر ذاك من بعض

فقولوا لبدر الأفق يترك سماءه ... ويختل من أجل التواضع في الأرضِ[٤٢]

تعثر المشروع لإنشاء مثل هكذا مدرسة لعدة أسباب[٤٣]، حتى ان حكمدار الأقاليم السودانية اسماعيل حقي باشا ارسل الى رفاعة الطهطاوي ارادة من قبل الخديوي يقول بأنهُ قد وصل الى سمعه في خلال هاذين اليومين ان المدرسة المقرر تأسيسها وانشائها في بلدهِ الخرطوم لتعليم وتعلم أولاد الناس وصبيانهم أهمل فتحها الى الآن وحيث ان رفاعة بك الذي تعين ناظراً للمدرسة المذكورة واستاذاً اول لها توجه الى بلدة الخرطوم ووصل اليها من مده مديدة فالمأمون ان تبادروا بفتح المدرسة على حساب ما تقتضيه ارادتنا وتباشروا تعليم وتعلم الصبيان اولاد الأهالي بلا تأخير وإهمال كماهو منظور في درايتكم[٤٤].

مدرسة الألسن (١٨٥٤- ١٨٦٣)

كان رفاعة الطهطاوي طيلة بقائهِ في السودان يتمنى عودته الى مصر، وقد ابتسم القدر له أخيراً بوفاة الخديوي عباس الأول والذي قيل أنهُ مات مسموماً، وجاء

بدلاً عنه الخديوي محمد سعيد باشا[٤٥] الذي لم يحدث في حكمه أي تغيّر يذكر في مجال التعليم[٤٦]، لكنه سمح لرفاعة بالعودة الى مصر، وأوكله نظارة مدرسة حربية بالصليبه، وأنشأ مدرسة حربية وقلم ترجمة بالقلعه وكان يشرف على أقسام الترجمة والمحاسبة وغيرها في مختلف الوظائف[٤٧].

واصل رفاعة جهده واجتهاده في مجال العمل، والذي وجد ان النهضة العلمية، لا تعتمد على الترجمة وحدها بل على إحياء المؤلفات القديمة ونشرها. وقد استطاع ان يحقق هدفه في احياء التراث، بعد حصوله على موافقة الخديوي سعيد في طبع الكتب العربية على نفقة الحكومة ومن هذه الكتب تفسير الفخر للرازي و(تفسير القرآن الكريم) ومعاهد التخصيص وخزانة الأدب لعبد الرحيم العباسي ومقامات الحريري وغير ذلك من الكتب القديمة[٤٨].

لم يسعف الحظ رفاعة كثيراً فكما ذكرنا فان عهد الخديوي سعيد لم يكن أوفر حظاً من عهد الخديوي عباس الأول بالنسب لرفاعة الطهطاوي، إذ قام سعيد بعد فترة بالغاء جميع المناصب او الادارات التي كان يشرف عليها رفاعة الطهطاوي عام ١٨٦٠ بما في ذلك ادارة الترجمة. فظل بلا وظيفة محددة[٤٩].

مدرسة الألسن (١٨٦٣ – ١٨٧٩)

بعد تولي اسماعيل الحكم سنة ١٨٦٣[٥٠]، شهد التعليم تطوراً ملحوظاً، وقام بعدد من الاجراءات منها: اذ عمل على اعادة فتح مدرسة الادارة والالسن وكان مقرها بجوار قصر محمد علي الذي سكنه مدة طويلة قبل انتقاله الى قصر الجوهرة ولما أغلقت وتحولت الى فندق عرف فيما بعد باسم (فندق شبرد)[٥١] ففتحها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فانه اعتمد في نهضته التعليمية على عدد من خريجي المدارس التي أقامها جده محمد علي وما وصفه هؤلاء من تراجم ومؤلفات وما نشروه من تقاليد تُشيد بالعلم والثقافة بعد ان انتشروا في البلاد، واصاب الكثير منهم في الحياة الوظيفية الجاه والمال والمقام السامي، واستبشر الخديوي اسماعيل برفاعة الطهطاوي وادهم وعلي

مبارك وعلي ابراهيم ورياض وغيرهم خيراً، ووجدهم الأفضل في إقامة دعائم النظام التعليمي الحديث وتوطيده في البلاد[٥٢].

كان لابد من الخديوي اسماعيل ان ينتفع من خدمات رفاعة الطهطاوي في نشر التعليم، وفي عام ١٨٦٣ اعاد الخديوي اسماعيل ادارة الترجمة مرة أخرى، وعين رفاعة الطهطاوي مديراً لها وعينه في الوقت نفسه عضواً في لجنة المدارس[٥٣] التي كانت تشرف على تنظيم التعليم في مصر[٥٤]. وبذلك استرد رفاعة الطهطاوي مكانته المسلوبة في مجال العلم والتعلم.

الملاحظ في عهد الخديوي اسماعيل هو عدم انعاش المدارس القديمة التي اغلقت زمن عباس باشا فحسب، بل وفتحت الكثير من المدارس الجديدة ايضاً[٥٥].

مما تجدر ملاحظته في عصر اسماعيل فيه صفة بارزة، ألا وهي ظاهرة التنوع في التعليم، إذ سارت حركة الترجمة والتأليف على نحو مُشابه لما كان موجود في عهد محمد علي باشا لكن بعهد محمد علي كان جل اهتمامه بالترجمة فقط، إذ لم تجد تلاميذ المدارس ومدروسها وخريجوها الفراغ الكافي ليستجيبوا للثقافات التي تلقوها فيؤلفون، كذلك كانت ترجمتهم ترتبط بالصفة الرسمية وهي على حد قول أحد المؤرخين كانوا مترجمين محترفين لا هواة يترجمون ما يؤمرون بترجمته، لا يريدون ترجمته وما يؤمرون بترجمته. لذا يمكن القول بأن الترجمة في عصر محمد علي كانت ضئيلة وليست منعدمة، ولما استؤنفت النهضة في عهد اسماعيل، كان تلاميذ مدرسة الألسن القديمة عدتها وعمدها، فانطلقوا يترجمون من جديد، بل وابدعوا في هذا المجال واخذوا يؤلفون[٥٦].

فنلاحظ ان رفاعة الذي وضع كل مؤلفاته في عهد اسماعيل منها: "مناهج الألباب العصرية في مناهج الآداب المصرية" "المرشد الأمين في تربية البنات والبنين" "أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل" "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية" وغيرها فهنا في الحقيقة يرجع الى الأصل وهو محمد علي واثر الترجمة التي قام بها بمساعدة خريجي مدرسة الألسن في عصر اسماعيل[٥٧].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى رغبة الخديوي اسماعيل لجعل مصر دولة عصرية او "قطعة من اوربا" وضع اسس القانون المصري على اساس القانون الفرنسي الذي يسمى عادة "كود نابليون" (أي مدونة نابليون او قانون نابليون) لجأ الى رفاعة الطهطاوي وتلاميذه لكي يحققوا لهُ ما أراد[٥٨] فاشترك رفاعة الطهطاوي وعبد الله بك السيد في ترجمة القانون المدني الفرنسي. واشترك عبد الله ابو أسعد افندي وحسن فهمي في ترجمة الاجراءات تحت اشراف رفاعة الطهطاوي. وترجم محمد قدري باشا قانون العقوبات، اما صالح مجدي فقد ترجم قانون الأحكام الجنائية، وكانت هذه الموسوعة القانونية هي الأساس الذي بنى عليه القانون المصري الحديث، وقد كتب الطهطاوي بحوثاً عديدة تشمل على دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والتشريع الفرنسي[٥٩].

ومما لاشك فيه فان الخديوي لم يترك مدرسة الألسن كما هي، بل حاول ان يطور بها كأن يجعلها مدرسة جامعة فمن ضمن فروعها تحولت الى مدرسة للحقوق وكان لها فضل كبير في تخريج رجال القضاة والمُحاماة والسياسة[٦٠].

ذكرنا سابقاً بأن رفاعة قد شغل مناصب عدة، لكن الأشهر كان نظارة قلم الترجمة الذي ظل يشغله حتى تغمده الله برحمته عام ١٨٧٣ وله من العمر ٧٥ عام[٦١]. وترك ابنين أحدهما علي فهمي باشا الذي أصبح وكيلاً لنظارة المعارف في عهد عبد الله فكري باشا، والاخر بدوي بك الذي انخرط في سلك العسكرية ووصل الى رتبة "اليوزباشي" ثم اختاره والدهُ لمعاونته في قلم الترجمة، ثم ظل في طهطا بعد وفاة والده، حتى استوفى انفاسه الأخيرة[٦٢].

لقد تخرج من مدرسة الألسن العديد من الاساتذة والعلماء الذين كان لهم فضل كبير على المجتمع وابنائه، والمساهمة الفعالة في عملية الترجمة، ولقد كان هؤلاء الطلبة ابناء بررة بالنسبة لأستاذهم رفاعة الطهطاوي، إذ مدحه أحمد افندي بقوله: "كنت تحت ارشاد مدير مدرسة الألسن السيد رفاعة افندي، فأجاد تربيتي كغيري، حتى حسن حالي، واجتهادي في نيل المعالي بين امثالي.. اقتضى رأيه المؤيد، وحزمه المعضد،

ان أترجم كتاباً من كتب التاريخ، فاختار ملكاً من ملوك الأفرنج تعلو همته على المريخ، وهو كتاب بطرس الأكبر، وفضله اشهر من ان يُذكر، لمؤلفه الشهير المسمى (فولتير) الذي يُعد بين اكابرهم أعظم حجة وان كان عن الأديان بعيد المحجه"[٦٣].

لكن مع ذلك فأن آثار الطهطاوي التعليمية لم تنتهِ بعد وفاتهِ بل ظلت باقية تنير الطريق أمام الأجيال التي تعاقبت بعد ذلك، فهي تمثل التراث الذي خلفه الطهطاوي، والذي يعتبر بحق المحور الذي قامت على أساسه الحركة الوطنية في مصر[٦٤].

الخاتمة

بالرغم من التحديات والمشكلات التي واجهتها مدرسة الألسن فقد استمرت بمواصلة عطائها وخدمتها للطلاب والمدرسين. والتي هي مرتبطة بحياة رفاعة التي اوقفها لخدمة أمتهِ ووطنهِ في شتى حقول المعرفة والعلم. لكي يكون هذا الوطن قوياً ناهضاً شامخاً، يأخذ مكانته كما كان في السابق في الحضارة الإنسانية.

أرتبطت مدرسة الالسن بالعلامة رفاعة الطهطاوي والذي كان له الأثر الكبير في نشأئها وأستمرارها بالعمل . وقد نجح باقناع محمد علي باشا ببذل الأموال على تلك المدرسة لما لها من أهمية كبرى في نقل علوم الغرب ومعارفهم .

لم يستثمر أولاد محمد علي باشا ، التطور العلمي الكبير الذي بدأه بل شهدت مصر رجوعاً للخلف بعد وفاة محمد علي باشا عام ١٨٤٨ ، وأثر ذلك على مدرسة الألسن تأثيراً كبيراً ، وعلى الرغم من أعادة افتتاحها عند مجيئ الخديوي أسماعيل ، إلا أنه كانت قد انقضت مدة طويلة لم يستمر فيها عمل المدرسة ، وهذا الأنقطاع بسبب تدهور في الوضع التعليمي والثقافي في مصر وكان سبباً في أنقطاعها عن الحضارة

Abstract

Despite the challenges and problems faced by the School of Languages it has continued to pursue its bid and service for students and teachers. Which is linked to the lives of Rvaap that stopped by to serve his nation and his country in various fields of knowledge and science. In order for this country to be strong a rising tall, he takes his place as in the past in human civilization.

هوامش البحث

(١) محمد علي باشا (١٨٠٥ – ١٨٤٩): عين والياً على مصر في ١٧ صفر ١٢٢٠ هـ/ ١٧ مايو ١٧٦٩، لكنه انخرط في سلك الجندية ، تفرغ لتجارة الدخان فربح بها . ولد بمدينة قوله من موانئ مقدونيا في ١٧٦٩، انخرط في سلك الجندية لكنه فضل الانخراط بالحياة العسكرية وصل مصر في مارس ١٨٠١ كمعاون لرئيس كتيبة قوله وأظهر كفاءته فتدرج بالترقية، قضى على المماليك في منكجة القلعة الشهيرة ١٨١١، منح رتبة نائب ملك على مصر، وان تكون مصر بحدودها القديمة ورثية في اسرة محمد علي للأكبر سناً من الاولاد والاحفاد الذكور، على ان تكون مصر جزءاً من الدولة العثمانية وأن تدفع الجزية سنوياً للسلطات، ولا يزيد جيشها على ثمانية عشر الفاً ولا تبني سفاً حربية. مرض محمد علي في ١٨٤٨ وصدر فرمان بتعيين ابراهيم باشا والياً على مصر، توفي محمد علي في ١٨٤٩. ينظر: الياس الانصاري، موسوعة حكام مصر، ص١٢١– ١٢٢. للمزيد ينظر: الياس الايوبي، محمد علي ، سيرته واعماله وآثاره، دار الهلال، مصر، ١٩٢٣، ص١٠؛ امل صديق عفيفي، ايام في حياة محمد علي، ط٢، ص٩٠.

(٢) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، موسكو، ص٧٣– ٧٤.

(٣) رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١– ١٨٧٣): شيخ المترجمين المصريين في مطلع النهضة الحديثة ولد في طهطا ونشأ فقيراً، وقدم الى القاهرة صغيراً وتخرج في الجامع الأزهر انتهز فرصة تعيينه إماماً لأول بعثة تعليمية ارسلت الى فرنسا فتعلم الفرنسية، وبعد عودته عمل مترجماً في المدارس الفنية التي انشأها محمد علي، ثم مديراً لمدرسة الترجمة (الألسن فيما بعد) ترجم بنفسه كتب عديدة اسلوبه يحمل طابع القرون الوسطى الذي تجده عند الجبرتي مثلاً له. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، لبنان، ص٨٧٣؛ للمزيد ينظر:

محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، دار المستقبل العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٤، ص٣٥- ٤٨.

([٤]) ابراهيم شحاته حسن، مصر والسودان، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ص٦٧- ٦٨.

([٥]) صالح مهدي، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رافع الطهطاوي، تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الإقليم المصري، ص٣٦.

([٦]) لويس عرض، تاريخ الفكر المصري، دار الهلال، ط٣، ج٢، ص٩٦ .

([٧]) يوسف نصر، الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر في آسيا وافريقيا، ط١، ١٩٨٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٧٢.

([٨]) صالح مجدي، حليه الزمن بمناقب خادم الوطن..، ص٣٧؛ لويس عوض، تاريخ الفكر المصري، ص٩٦؛ دائرة معارف الشعب، مطبعة الشعب، ج٤، ص٦٧٩.

([٩]) صالح مجدي، حليه الزمن بمناقب خادم الوطن، ص٣٧.

([١٠]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٦- ٣٧؛ يوسف نصر، الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر في آسيا وافريقيا، ص٧٢.

([١١]) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، ص٩٦؛ عبد الكريم حسين الشباني، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاعة رافع الطهطاوي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩، ص٢٣.

([١٢]) يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٢.

([١٣]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٧.

([١٤]) عبد الكريم حسين الشباني، اتجاهات التحديث عند المفكر رفاعة رافع الطهطاوي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص٤٧.

([١٥]) للتعرف على هذه الطبقات ينظر: صالح مجدي ، حلية الزمن، ص٤٣، ص٤٧.

([١٦]) دائرة معارف الشعب، ص٦٨٠.

([١٧]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٧- ٣٨.

([١٨]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٧- ٣٨؛ موسوعة دائرة معارف الشعب، ج٤، ص٦٨٠.

([١٩]) دائرة معارف الشعب، ج٤، ص٦٧٩.

([٢٠]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٧.

([٢١]) لويس عوض، تاريخ الفكر السياسي المصري، ص٩٦.

([٢٢]) عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٤١؛ يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٢.

([٢٣]) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، ج٢، ص٩٦.

([٢٤]) لويس عوض، المصدر السابق، ج٢، ص٩٦.

([٢٥]) يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٣.

([٢٦]) دائرة معارف الشعب، ج٤، ص٦٧٩– ٦٨٠.

([٢٧]) لويس عوض، المصدر السابق، ج٢، ص٩٦.

([٢٨]) لويس عوض، المصدر السابق، ج٢، ص٩٧.

([٢٩]) عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٤١؛ دائرة معارف الشعب، ج٤، ص٦٧٩.

([٣٠]) ابراهيم باشا بن محمد علي باشا: والي من ٢ سبتمبر ١٨٤٨ الى ان توفي في ١٠ نوفمبر ١٨٤٨ الابن الأكبر لمحمد علي. ولد عام ١٧٨٩. قاد الحملة المصرية في الحجاز فأخمد ثورة الوهابيين عام ١٨١٦. قاد الجيش المصري الذي قمع ثوار اليونان الخارجين على تركيا. قاد جيش مصر الذي فتح فلسطين. حقق انتصارات، تولى حكم مصر بفرمان من الباب العالي في مارس ١٨٤٨ نظراً لمرض والده. ولكنه لم يعمر أكثر من سبعة أشهر ونصف بعد ذلك وتوفي وهو لم يتجاوز الستين من عمره في نوفمبر عام ١٨٤٨.

ينظر: ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر، دار الشروق، بيروت، ط٣، ص١٢٢.

([٣١]) عباس حلمي الأول ابن احمد طوسون باشا بن محمد علي باشا والياً من ١٠ نوفمبر ١٨٤٨ الى ١٣ يوليو ١٨٥٤ ولد سنة ١٨١٣ في جدة ونشأ في مصر. خلف عمه ابراهيم باشا في تولي مصر ١٨٤٨. هو حفيد محمد علي وابن أخ ابراهيم. في عهده اضمحل الجيش والبحرية في مصر واغلقت كثير من المدارس والمعاهد عاش عيشة بذخ وانصرف عن التفرغ بشؤون الدولة. ظل في الحكم قرابة الخمس سنوات واغتيل في قصره في بنها في يوليو ١٨٥٤. ينظر: ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر، ص١٢٢.

([٣٢]) لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٧؛ عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٢٦؛ صلاح احمد هريدي، تاريخ مصر الحديث، مكتب بستان المعرفة، ٢٠٠٩، ص٢٢٠؛ احمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة، ١٩٩٦، ص٧٩.

([٣٣]) أحمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، ص٧٩؛ احمد هريدي، تاريخ مصر الحديث، ص٢٢٩؛ محمد كمال السيد، اسماء ومسميات من تاريخ مصر القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦، ص١٧٦؛ يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٣.

([٣٤]) أمين سامي، تقويم النيل، المجلد الاول، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ص١٩٣٦، ج٣، ص١٣، ص١٩، ص٣٥.

([٣٥]) لـويس عـوض، المصـدر السـابق، ص٩٧؛ امـين سـامي، تقـويم النيـل، المجلـد الأول، ج٣ ، ص٣٨؛ صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٨؛ يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٣.

([٣٦]) لويس عوض، المصدر السابق، ص ؛ محمد كمال السيد، اسماء ومسميات من تاريخ مصر القاهرة، ص١٧٧.

([٣٧]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٨.

([٣٨]) لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٧– ٩٨؛ امين سامي، تقويم النيل، المجلد الاول، ج٣، ص٣٨؛ محمد كمال السيد، المصدر السابق، ص١٧٧؛ صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٨.

([٣٩]) شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩، ص٦٤؛ محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، ص١٣؛ علي ابراهيم عبده، مصر وأفريقيا في العصر الحديث، دار العلم، مصر، ص٣٢.

([٤٠]) للمزيد عن مدرسة الخطوم ينظر: ابراهيم الحاردلو، الرباط الثقافي بين مصر والسودان، دار جامعة الخرطوم، ص١٠؛ حمدنا الله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤٦– ١٨٨١)، دار المعارف، ط١، ١٩٨٥، ص٤٩٦.

([٤١]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٨.

([٤٢]) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص٦٧؛ حمدنا الله مصطفى حسن، المصدر السابق، ص٤٩٨.

([٤٣]) عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٢٦.

([٤٤]) امين سامي، تقويم النيل، ص٥٠.

([٤٥]) محمد سعيد باشا بن محمد علي والياً على مصر في ١٤ يوليو – ١٨ يناير ١٨٦٣، هو عم سلفه عباس الأول ولكنه أصغر سناً منه توفي سعيد في يناير ١٨٦٣. ينظر: ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر، ص١٢٣.

([٤٦]) شوقي الحمل، تاريخ سودان وادي النيل، ص٦٤؛ محمد كمال السيد، المصدر السابق، ص١٧٧.

([٤٧]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٣٨؛ لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٨؛ محمد كمال السيد، المصدر السابق، ج٣، ص٣٨؛ عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٢٧، ص٤٦؛ يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٣.

([٤٨]) لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٨، دائرة معارف الشعب، ص٦٨٠.

([٤٩]) عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٤٦؛ يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٣.

([٥٠]) الخديوي اسماعيل بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا (والي ثم خديوي) من ١٩ يناير ١٨٦٣- ٢٦ يونيو ١٨٧٩. ولد عام ١٨٣٠ عند وفاة سلفه سعيد، كان أكبر الذكور سناً فآلت اليه ولاية مصر، حاول ان يسير على نهج جده محمد علي في تحديث مصر والاستقلال بها عن الادار العثمانية ولكن بطريقة التودد ودفع الرشاوي لذوي القوة في الاستانة فحصل ذلك على لقب مكافح تجار الرقيق، افتتح قناة السويس للملاحة العالمية. ادت سياسته المالية السيئة الى عزله عام ١٨٧٩ وتنصيب توفيق بدلاً عنه. توفي بالاستانة عام ١٨٩٥، ودفن بالقاهرة. ينظر: ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر، ص١٢٣.

([٥١]) عبد الرحمن الزكي، القاهرة، ط٢، ١٩٤٣، ص١٨٦.

([٥٢]) ابراهيم شحاته حسن، مصر والسودان، ص٦٩- ٧٠.

([٥٣]) وتسمى قومسيون المدارس او مجلس نظارة المدارس، يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٣.

([٥٤]) لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٨.

([٥٥]) لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية، ص١٩٩؛ للتعرف على المدارس التي انشأها اسماعيل ينظر: الياس الايوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا سنة ٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣، ص ؛ أحمد زكريا الشلق، المصدر السابق، ص٨١؛ عبد الكريم حسين الشباني، المصدر السابق، ص٢٨؛ اسماعيل محمود القباني، حضارة مصر الحديثة لنخبة من زعماء الرأي والثقافة في مصر، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٣، ص٨١.

([٥٦]) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

([٥٧]) المصدر نفسه، ص٧١؛ دائرة معارف الشعب، ج٤، ص٦٨٣.

([٥٨]) لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٩.

([٥٩]) لويس عوض، المصدر السابق، ص٩٩- ١٠٠.

([٦٠]) مكي شبيكه، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ص٥٢٩.

([٦١]) صالح مجدي، المصدر السابق، ص٥٨؛ دائرة معارف الشعب، ج٤، ص٦٨٤.

([٦٢]) دائرة معارف الشعب، ص٦٨٤.

([٦٣]) للتعرف على اسماء التلاميذ الذين تخرجوامن مدرسة الألسن حسب طبقاتهم ينظر: صباح مجدي، حلية الزمن، ص٤٣.

([٦٤]) يوسف نصر، المصدر السابق، ص٧٤.

المصادر

١- ابراهيم الحاردلو، الرباط الثقافي بين مصر والسودان، دار جامعة الخرطوم.

٢- ابراهيم شحاته حسن، مصر والسودان، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة.

٣- أحمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة، ١٩٩٦.

٤- اسماعيل محمود القباني، حضارة مصر الحديثة لنخبة زعماء الرأي والثقافة في مصر، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٣.

٥- إلياس الأيوبي، محمد علي سيرته واعماله وآثاره، دار الهلال، مصر، ١٩٢٣ .

٦- الياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا سنة (١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩)، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣ .

٧- أمل صديق عفيفي، ايام في حياة محمد علي، ط٢.

٨- أمين سامي، تقويم النيل، المجلد الأول، ج٣، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٦ .

٩- حمدنا الله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤٦- ١٨٨١)، دار المعارف، ط١، ١٩٨٥ .

١٠- شوفي الحمل، تاريخ سودان وادي النيل، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩ .

١١- صالح مجدي، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة رافع الطهطاوي، تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الاقليم المصري.

١٢- صلاح أحمد هريدي، تاريخ مصر الحديث، مكتبة بستان المعرفة، ٢٠٠٩ .

١٣- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ .

١٤- عبد الرحمن زكي، القاهرة، ط٢، ١٩٤٣ .

١٥- علي ابراهيم عبده، مصر وافريقيا في العصر الحديث، دار العلم، مصر.

١٦- لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية، موسكو،

١٧- لويس عوض، تاريخ الفكر المصري، دار الهلال، ط٣، ج،

١٨- محمد عمارة، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، دار المستقبل العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٤ .

١٩- محمد كمال السيد، اسماء ومسميات في تاريخ مصر القاهرة، دار الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٨٦ .
٢٠- مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
٢١- محمد فؤاد شكري ، الحكم المصري في السودان
٢٢- يوسف نصر، الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر في آسيا وافريقيا، ط١، ١٩٨٣، مكتبة مدبولي، القاهرة.

الأطاريح والموسوعات

- اطروحة عبد الكريم حسين الشباني، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاعة رافع الطهطاوي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩ .
- موسوعة دائرة معارف الشعب، مطبعة الشعب، ج٤ .
- موسوعة ناصر الأنصاري، موسوعة حكام مصر، دار الشروق، بيروت، ط٣ .